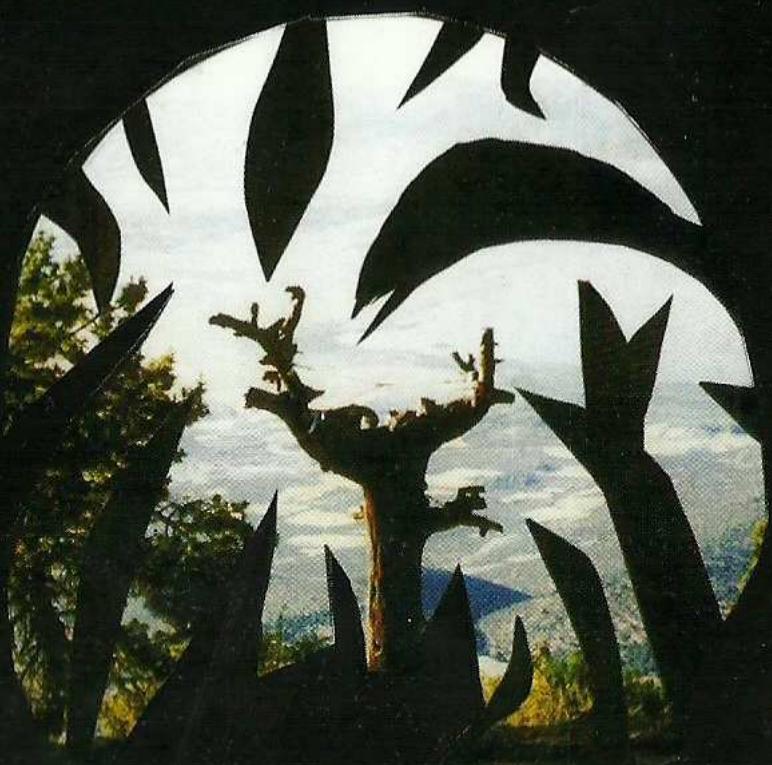


مشاهداتٌ بديع الزَّمان التُّورسي

ديوانُ شعرٍ



فريد الأنصاري

وماذا يمكن للشّعر أن يكون إن لم يكن
مشاهدة..؟

وماذا يمكن للعين أن تفعل - عند تدفق غدران
النور - إلا أن تشهد وتشاهد؟

(...) وما بين مكناسة الزيتون ومجمع البحرين
في السودان، وما بين مكة والمدينة، إلى بلاد الأناضول
وخلجان استنبول؛ كنت أهث خلف بوصلة الحبة أى
مرساها؟

.. حق آخر أثير لحوافر الفالحين!

(...) وفي قمة (أشاملجا) ياستبول، حيث
كانت له بقية من شعاع، تُقطّر نفح الروح بشرابين
الأشجار.. كنتُ أسلق غصن حديقته العليا؛ حتى
أشرفتُ على كل المدينة؛ فرأيت ما رأيت!.. ثم..

ثم كانت (مشاهداتٌ بديع الزَّمان التُّورسي) !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى بلبل الأسحار والأقمار ..

الذي ولد عن انفجار جبل (أرارات) بالأناضول !
وتعلم التغريد فوق شجر الصنوبر ، بجبل (نجام) !
ثم انطلق يعلم الناس منطق الطير !
ويسيهم كؤوس النور ، من أول دقات الفجر ..

إلى روح الأستاذ بديع الزمان سعيد الثورسي ..
ترجمًا واستغفارًا !

الكتاب: مشاهدات بديع الزمان الثورسي

المؤلف: فريد الأنصاري

الإيداع القانوني: 2004 / 0465

الطبعة الأولى: محرم: 1425 هـ / مارس 2004 م.

سحب: مطبعة أنفوبرانت، 12 شارع القادسية،

الليدو - فاس/المغرب. هاتف: 055.64.17.26

مُحَرَّابُ المشاهدات

(أنا الآن في موضع، على ذروة شجرة صنوبر
ضخمة عظيمة، منتصبة على قمة شاهقة من قمم جبل
"ثِجَامٌ" ! لقد استوحشت من الإنس، واستأنست
بالوحش..! ...) والآن أكتب إليكم ما ورد بالبال
من خواطر على شجرة الصنوبر هذه!

بديع الزمان النورسي / المكتوبات: ٢٣

جَمَالُ المشاهدات

(واعلم: أن إكسير الإيمان إذا دخل في القلب
صَيَّرَ الإنسان جوهراً لائقاً للأبدية والجنة، وبالكفر
يصير خزفاً خالياً فانياً. إذ الإيمان يُوي تحت القشر الفاني
لُبّاً لطيفاً رصيناً. ويرى ما يُتوهّم حباباً مُشمساً زائلاً؛

ومذ فتحت عيني على كثبان الرمال الساربة
بين وديان السراب، بواحة الجُرف الخزین^(١)، رأيت
أثراً لعاير على الرمال.. فاتبعه سيراً، وكانت رحلتي
نحو منبع النور..

ولم أزل أسير الليالي القمراء في خلوة الفلووات
تشوّقني لحظة تدفق الجمال بالأسحار، فلعلني أجده
هناك!

أو لعلني أجده له من ثم سيراً، فأتابع سيراً!
وما بين مكناسة الزيتون ومجمع البحرين في
السودان، وما بين مكة والمدينة، إلى بلاد الأناضول
وخلجان استنبول؛ كنت أهث خلف بوصلة الحجية أني
مرساه؟

اللماساً متوراً. والكفر يرى القشر لبَا فيتصلب فيه فقط!
فستنزل درجة الإنسان من اللماس إلى الزجاج، بل إلى
الجمد، بل إلى الحباب! هكذا شاهدت..!

بديع الزمان النورسي / المنشوي العربي: ١٥٨

شعر المشاهدات

وماذا يمكن للشّغر أن يكون إن لم يكن
مشاهدة..?
وماذا يمكن للعين أن تفعل - عند تدفق غدران
النور - إلا أن تشهَدَ وتشاهِد؟

^١ الجُرف: اسم قرية الشاعر بإقليم سجلماسة جنوب
شرق المغرب.

بَيْدَ أَنِّي يَا سَادِي فوجئت به يوماً بمكناة
 الزيتون! لقد شاهدته يمشي نحو مدينة زرهون، شاخصاً
 بصره نحو السماء.. وكأنما يهم بمعانقة قمم الجبال
 الشامخة! كنت قريباً منه جداً، لكنني لم أستطع أن
 أقتحمه! ومشى فمشيت حتى اختفي بمسالك الزيتون!
 ثم أوكد لكم أني وجدته ذات مطرٍ ليلي - بعد
 ذلك، في سفر بعيد - بجزيرة سرداك بمالزيا! كان
 يصلى بليل، بإحدى الغرف العليا من فندق بمدينة
 كوتشي!.. ثم ضاع مني فجأة! ثم لست أدرىًّا كيف
 أحسست أنه عاد مرة أخرى إلى بلاد الأناضول. قلت:
 لعلي ألقاه بها.. ولكن قيل لي: ربما رحل إلى حاضرة
 الغرب الكبرى، لتلقي العلاج هناك. قيل: وكان
 العشرات من الكفار يُسلّمون على يديه!
 وفي قمة (ائشامبلجا) بإسطنبول، حيث كانت له
 بقية من شعاع، تُقطّر نفح الروح بشرائين الأشجار..

حتى آخر أثرٍ لحوافر الفاتحين!
 كانت طيور النورس تتردد ما بين البوسفور
 وبحر مرمرة، تبحث عن شيء ما؟
 وكان بديع الزمان النورسي يذرع الأرض ما
 بين شروق غروب، وهو يلتقط لآلئ الأسرار كل ليلة
 بدريّة!
 قيل لي: قد مات سنة: ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م،
 وتلك كانت سنة ولادي بالذات!
 فهل معناه أن لا رجاء في اللقاء؟
 وقيل لي: قد دفن بقرية أورفة بتركيا، ثم نبشت
 الحكومة قبره ليلاً، ونقل إلى مكان مجهول! وقيل كان
 ذلك مرتين! حتى انقطعت دونه أسباب الوصول! ثم
 مات الذين أتلفوه بسرّهم فضاعت الحقيقة - زعموا -
 إلى الأبد!

المشاهدة الأولى

أوَانُ

إلى طالب النور: وَحْدَتْ الْأَرْضُ وَمِنْ، في خلوته المترفة أبداً!

(إلهي! لي من الزمان آن يَسِيلُ في سَيْلٍ وَاسِعٍ سَرِيعٍ
الجَرِيَانِ! وَلِي مِنَ الْمَكَانِ مَقْدَارٌ قَبِيرٌ مَعَ عَلَاقَتِي بِسَائِرِ
الْأُمُكَنَّةِ وَالْأَزْمَنَةِ. فَلَا حَوْلَ لِي عَنِ الْعَلَاقَةِ بِهَا، وَلَا
قُوَّةٌ!) النورسي/اللمعات: ٥١١

كنتُ أَتسلقُ غصناً حديقةَ العليا؛ حتى أَشَرَفتُ على
كلِّ المدينة؛ فرأيتُ ما رأيتُ!.. ثم..

ثم كانت (مشاهدات بديع الزمان النورسي)!

وكتبه فريد الأنصاري بحاضرة استنبول (حي
الفاتح)، لذوب الأصيل من يوم : ٢٦ جمادى الأولى:
١٤٢٤هـ / (٢٠٠٣/٠٧/٢٦م)

.....
هو الأوَانُ آنُ!

لكنني لما وصلت لم أجده سوى الأسى!..

وشهقةٌ أخيرةٌ من الصدى..

ترددت هنا من قبل أن يَصْدَعَ الزمان!

ووجدت جرّة تكسرت على خربير الماء
فصال النور هاربا يا حسرتي!
واعتلل الأشياء كلها عمي الألوان!
وتحت لاهثا بين الوجوه!
أبحث عن إشارة تدلني على الغدير
لعلني أظهر الجروح من أدرافها
وأهلا العينين من أمواجه بحفة من نور
لعلني أرى منطق الطير في الأشجار
وأسع الألوان كيف تنسج النشيد
يا سيدى!

فربما أجد هناك ومضة
أو أثراً لريشة قد لونت فضاءها بنغم من دقة الصباح
ولم تزل تذوب في أمواجها الأطياف والأمطار
وتشرب الغدران من إشرافها
وتشهدق الرياح

هو الأوان آن

وهذه استبول لم تزل تذكّر وعدّها
ولم تزل يردد ديكّها على صدى الأذان
وعينه ترقب (بُورصا) من بعيد
فربما هناك يبدأ الزمان!
ربما..؟

آه وآه! يا سيدى من (ليتني) و(ربما)!
 فمن لقلبي المتبول سيدى بخارق من نور
يشق صمت الليل فجأة
فيرسم الطريق نحو نبعه العظيم..!

فإنني لم يبق مني غير قطرة أو قطرتين!
وينتهي الرهان!

استبول/حي فاتح: ٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٤ هـ

٢٠٠٣/٠٧/٢٦

فها هي ذي الآن أعرافها تتهلل مثل غدائـر (لـونـجاـ)
 وتصـنـفـ بالـبـابـ
 تسـأـلـيـ جـارـيـ :
 - منـ قـراـهـاـ الـتـيـ ... ?
 وـتـدـخـلـ - آـهـ - لـتـلبـسـيـ رـعـشـةـ رـعـشـةـ ؛ حـقـ آخرـ
 أنـفـاسـهـ .. !
 ثـصـيرـيـ نـغـماـ جـارـفاـ ..
 فيـنـسـابـ جـدـولـهـ مـطـلـقاـ فـيـ المـدىـ ..
 وـلـاـ كـانـسـابـ الرـبـابـ !

.....

ها إنـاـ إـنـاـ فـيـ الشـمـسـ جـسـمـ لـطـيفـ كـذـوبـ الضـحـىـ
 قـدـ توـحـدـ حـتـىـ الـأـنـيـنـ الـأـخـيـرـ ، وـشـفـ ؟ فـلاـ ظـلـ مـنـاـ
 يـعـقـرـ خـطـوـتـنـاـ بـالـتـرـابـ !

المشاهدـةـ الثـانـيـةـ

صـورـةـ مـهـرـبـةـ لـبـدـيـعـ الزـمـانـ النـورـسـيـ

إـلـىـ الأـسـتـاذـ المـرـيـ مـصـطـفـيـ صـنـغـورـ

قالـ هـاـ ذـاتـ لـيـلـةـ: (فـلـاـ تـدـيـرـنـ رـأـسـكـ فـوـقـاـ مـنـ الـمـوتـ !
 خـائـفـةـ مـنـ الـقـبـرـ، بـلـ حـدـقـيـ فـيـ الـقـبـرـ! وـانـظـريـ إـلـىـ حـفـرـتـهـ
 بـشـهـامـةـ! وـاسـتـمعـيـ إـلـىـ مـاـ يـطـلـبـ! وـابـتـسـمـيـ بـوـجـهـ الـمـوتـ
 بـرـجـولـةـ! وـانـظـريـ مـاـذـاـ يـرـيدـ؟ وـإـيـاكـ أـنـ تـغـفـلـيـ!)

الكلـمـاتـ: ١٩٣ـ.

.....

تجـيـئـنـ رـائـعـةـ كـالـغـدـيرـ
 فـتـمـلـأـ أـنـفـاسـكـ المـشـهـاءـ حـائـلـ روـحـيـ
 وـتـطـعـمـنـيـ مـنـ رـحـيقـ الرـضـابـ

ألا أيها العُمر المتَّدفق سهوا، لماذا تُكَذِّبُ كُلَّ المساءات
منكِ مروايا اشتَعالي؟
فتوهمي أنني في جنَان اللَّهِيبِ، وما هي إِلا صدى
صُرخة واحِدة؟
ليس يحجبها عن أساها سوى خطفة من نعاس خفيف؟
وأذْكُرُ حين استهل ثغائي الوليد
وأنتِ تحدِّين كفيك نحوِي ..
كان حضنكِ مثلَ الحَرِيرِ يزملني بالتراتيل والأمنيات
ولا كَيْدَيْ أمِي الباكيَة
قلت لي : إنطلقْ !
فانطلقتُ؛ فكان فؤادي نخيلا ..

وتسألني جاري :
من تراها القِي ..
فأَذْخُلُ يقظتها / سُكْرَها حق آخر جذبتها السابعة !
فها هي ذي الشَّمْسِ تَنْصُصُ كُلَّ رَحِيقِي ، وتنشرني حطبا
أو هشيمَا !
فأَمْسِي على شاطئِ الرُّوحِ وحدي
لَقِيَ مهملًا من قشورِ المخازِ !
فيما أيها العابرون العطاش بلا دني سوابِ يمد السرابُ !
وليس بأحداقِ خايبي قطرةً من ندى ..
فماذا سوى الماء يختضن الماء في غَيْبِ الكلماتِ؟

أَعْلَمُ سيدتي أنَّ الموعدَ وقتُ !
لكني ما زلت أحن إلى رائحة الطين إذا انطلقتُ أشوَاقا
تملاً معمار الفخارِ !
وجمالَ الحزن الليليِ

مشاهدات بديع الزمان النورسي ١٨

من رؤى سُلْمٍ واهمة !

.....

غابي ، تسبح الآن في حيرة الماء ..

فانسلبي عن ثيابي غلايلك المشتهاة ..

فقد ذاب وهمك ..

وَيْ ! .. ذاب كُلُّ التراب !

مكناس / المغرب : ١٩٩٨/٠٥/٠٩ م

ومسْرِي العشاق

وهسنهَةَ السنبلِ في أول أنسام الصيف !

وتراثي الظل على الماء ..

ولكن

كُفُكِ سيدني تطرق باي الآن ، وتصفِنْ أعرافك

تتهدل مثل غدائير (لونجا)

فتسألني جاري :

من تراها التي .. ؟

ثم أرمقها خطفةً من وميض اختياري

وأمتد موجا على وجع نورسي

وأرحل في نفحات السحاب !

حُلُماً كان عُمْرُكَ يا ولدي ..

أو ظللاً لروح خفي

تستمد سفي لوتها الفزحي

هذا جوابك تناسب إليك مواجهه من خضره هذا
الليل الساجي ..
وظلال القنديل المشهد
قرأت سؤالتك رشفا ، رشفا
فإليك نثار مواجهها :
وتسألكي يا ولدي عن كنه اللذة عند تجلبي رونقها
الرقواق على القلب .. كأنك لا تعلم أنَّ ليس المسؤول
بأعلم من سائله .. آه !
والوقت له أدب ، كل سؤال قبل مقام الإذن على
صاحبه مردود!
آه يا سالك مردود !
يا ولدي .. وتعلم !
إنْ هو إِلا مسرى من أبراج الليل الغافي
تقطنه الأقمار الخمسة ، من يكشف سرَّ مطالعها يخطفه
الشفقُ الأخضر

المشاهدة الثالثة

الجواب الأخير لبديع الزمان النورسي

إلى الأستاذ فرنجاوي: الأمي الذي قرأ كل اللغات!

(أتكلم في مقامي، لا في مقام السامع المواجه لي، خلافاً
لسائر المتكلمين، الذين يفرضون أنفسهم في مقام
السامعين (...)) فإذاً لا أذهب إلى مقامه، فليرسلْ هو
خياله إلى لأضيفه على عيني ، في رأسي؛ كي يرى كما

أرى!) المشنوي العربي النوري: ٢١٨

.....
أما بعد

فيما ولدي الموعود؟

إنْ أزجيك سلام الوارد من آخر دفقات النور ..

تسمعه العين ، ولا ينقر في الأذن لضجته بمهاوي
الشلال طنين !

فاشوب واركض يا صاح بوجلك !

نار المغتسل السلمى لك بود واشرب !

ذر نداها الشارد يكفي لسقاء الهملى عطشا

ما بين النخل المغير بمراكب الصدا المتخلس حول
منارات اسطنبول !

يا ولدي .. فتنزود !

آه لو تختد عروق الماء قليلا - قلت : قليلا - لأنجس

الروح الشجاج بكل الغابات صفاءً وجمالاً !

فإذا الأجساد تشف ، تشف ؛ فلا نبض إذن تكتمه
الأضلاع !

وما غير الحما المسنون يحاصرنا بروائحه ؟

حتى ليس لنا من كل محيطات العالم إلا هذا البحر
الميت !

أو يسكنه الصوت الآخر

أو تتفجر من بين محاجره غدران النور
أو (...)

لا حصر لأحوالهم يا ولدي

ما أعرفه أن هيب تحولهم لهم سلم !

أما لحظات النجوى فرحيق ورضا

ليس لنا من مطلعها وقت موزون

لكن أمارتها أن تلد الليلة بمجتها ..

وترى العشاق حفاة يلقطون نشار النجم ولألة الغيم

عسى أن تومض أعينهم بإشارات الدر المكنون !

تلك مدارجهم .. عالية الأبواب !

يا ولدي .. فتعلم !

ويحك لو تدري ما متعة شهد الإشراق الصاخب في

صمت الغابات الساجي !

يا عجا !

المشاهدة الرابعة

لأربعينية الجريدة أغني ..

إلى الغصن المتجرد للنور: الأستاذ فارس قايا

(وَرَغْمَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْدَّ نَفْسِي شِيخًا بَعْدُ، وَلَكِنْ مِنْ
بَرِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ يَشِيقُ! (...)) وَمَعَ أَنِّي كُنْتُ قَرِيبًا
مِنَ الْأَرْبَعينِ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ نَفْسِي كَأَنِّي فِي الشَّمَائِينِ مِنْ
عُمْرِي!) سِيرَةُ ذاتِيَّةٍ: ١٣٢

.....
قادُمُ مُثْلُ الرِّمَالِ مِنْ بَعْدِ ..
أَعْدُ لَوْعَةَ السَّفَارِ شَهْقَةَ فَشَهْقَةَ
.. وَعِنْدَمَا أُحْصِيَتُ مِنْ مَوَاجِعِ الْيَمَامِ أَرْبَعينِ نَخْلَةَ
رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ ..
رَأَيْتُ لِلْجَرِيدِ رَعْشَةً

يا ولدي .. فاحفظ عني!

إني لا أغرف مني!

آخر كلمات النور بدايتها

لا تسلك منها بحراً أو هراً، أو حق ساقية!

واسلك يا ولدي قطرة!

أو ذرة!

ترفعك الأمواجُ أميراً بمحيطات الملكوت!

هذا آخر عهدي .. يا ولدي

فاحفظ عني !

إني أنهكتي الرشح المحموم فلم يبق بخابيقي إلا غرفة دنٌ!

والقطر رتيب آه رتيب !

أبدا لن يتوك مفي !

مدينة القصر الكبير / المغرب: ١٩٩٨/٠٨/١٥.

تبصر أخضراره على الشري ..

وللهديل نايه ينساب صفوة على دمي

فكان ما رأيت .. !

ثم اتّبعت سببا ..

حق إذا اختلست عند شاطئِ

موت في سكونه منازلُ الرياح

وليس إلا الروح فيه يجمع الصدى .. !

رأيت وجهي الحزين وحده يغربُ الخطى ..

ثم بكى !

يا سيدى الجريد .. !

ما بال سرك القديم يوقظ الجوى بخافقى ؟

يرش خوفي الملتاع بالندى ..

ويختفي !

آه .. وآه !

ولم ينزل مكنونٌ طيفها البهي هاربا بين الظلالْ
قبضت ألف قبضة بين يدي سعفكَ المجنونْ

فلم أجد إلا دمي وشوكتَ المسنونْ !

يا سيدى الجريد !

ولم أزل أذكُرُ إذ حدثني عن طيفها .. عن سرها ..
عن حظي الملعونْ !

وقلتَ لي : غدا تراها أو تراها

تسقيك من رضابها ، من حمرها المباح

لكنني يا سيدى

عدَّدتُ من أبراج هذا الشوق أربعين ..

ثم اتّبعت سببا ..

ولم أزل أنتظر الأشباح والرياح .. !

يا سيدى الجريد !

.....

حدثني هاتفُكَ الفتان ذات ليلة ..
 بأها تخرج في الصحراء كالغزال عارية
 تلتقط الأسوار من كرائم الأحجار
 لكنها من لحظة لحظة تحجبها الأنوار
 يا أسفى ...!
 وتختفي !

وقلت لي (...) وإنما نام غربا في سرير الشمس
 ثم أتّبعت سببا ..
 حتى إذا رأيت من إزارها الشفاف ما رأيت ..
 اشتعل اللهيب بالمشيب !
 ثم بكيت !

يا سيدِي الجريدة !

وقلت لي : اختلس بهاءها بلجة النهر
 إذا تجلت الأقمار بالأسحار

فإنها هناك تستحمد خلسة
 تغسل من بلورها الحوري
 لطائف الأسرار ...!
 ثم أتّبعت سببا ..
 حتى إذا اقتربت من هائل الحمى
 وكانت قاب ومضة من اللئم ..
 - وأحسست ...! - أصبحت بالعمى !
 ثم بكيت !
 يا سيدِي الجريدة !

ولم تزل تغري فؤادي بالمزيد
 من وهمك المضني
 ووعرك البعيد !
 الأربعون نخلة تنشر في دمي ثمارها ..
 فما عدْت إذ عدْت من سفارك الحزين

المشاهدة الخامسة

البحث عن فرس استبول

إلى وارث السر: الأستاذ فتح الله كولن

(لقد نشأت في جبال الشرق، فكنت أتخيل
مركز الخلافة في حالة جميلة (...)) ولكن لما شاهدت
استبول المريضة وجسست نبضها، وشرحتها، أدركتُ
أن المرض في القلب! ثم سرى منه إلى جميع الجهات.
فحاولت علاجه؛ ولكني أكررتُ بوصمي بالجنون!

صيقل الإسلام: ٤٧١

إلا مواسم القطاف !

فأتبعتُ سببا ..

حقى إذا رأيت ما رأيت من مرآتك الوهى
تدفق الرعاف !

وقلت لي : ها قد رأيت !

فأتبعتُ سببا ..

ثم بكيت !

عبر الفضاء بين مطارات الدار البيضاء / العيون / الداخلة:
١٩٩٩/٠٥/٢٥

هل غادر الغدير نبض صخره؟
أم هل جفاه غاضبا سناء برقه؟
فأينها.. تلك التي كانت هنا

ما بين مائه و عطرِه؟

شرب من أشعة الندى..

وتلشم الشَّمْرُ..!

أليس هنا رأيتها تسكن في معابر الشَّجَرِ؟

وذات غفوة.. تبددت أطيافها خلف الربى..

كأنما امتنعت شعاع الشمس ثم غربت

فأصبحت أشدة الأشجار فارغةً !

وأرسل الغدير بينها أغرودة الحَزَنِ !

قيل لي: مرت بها الخيول عند بابة السُّرَى

وركضت يسكنها الصهيل !

*** *** ***

وقيل لي: قد رأيتَ عند المساء عاريةً

تدخل بحر مَرْمَرَةً

وتركَت على الرمال حافراً مَرَقاً

وأثراً يشبه غصن شَجَرَةً ..

*** *** ***

يا سيدِي البوسفور !
 برِّيكَ الذي برَاكَ بين خافقين !
 تَنْقُلُ من رسائل المحبةِ السلام
 أقسمتُ أن تصمّني إِلَيْكَ !
 مرجانةً من نورٍ
 أو صَدْفَةً تُخْرِجُ من لؤلئها
 هديةً لها؛ لعلها تعرّفني
 فتشرق استنبولُ من جديد !
 وقيل لي: قد خرّجت من متحف قديمٍ
 واخترفت - يا عجباً - كُلَّ العيون
 وأنشدت على "أبي أيوب" حزنهَا
 حتى بكى الحمامُ حولَها
 وأصدَعَ السورَ القديم !
 فلم يُعرِّها أحدٌ بعضاً الأسى ..! ثم اخافت !

قد قيل لي: موت هنا تحمل غابةً صنوبريةً
 فلم تزل تختر حُزْنَ البحرِ
 حتى رست على مساء التلة العليا
 ثم ارتقت معراجَ ريح عابرٍ..
 واندثرت!

وقيل لي: بل غادرت إلى غروب الدُّرْدَنْيلِ!
 حيث الشموسُ لا تنام أبداً..
 وإنني أذكرُ من غرامها حبُّ الشعاعِ
 فلم تزل تقطف من سنائه ورَدَ الصباخِ
 حق أضعتُ طيفها واحسرتِ..
 بفوني!

يا سيدِي البوسفورِ!

*** *** ***

وذات ليلة رأيتها تصلي فجراًها..
 فقامتُ كالحصان راكضاً

وقيل لي: قد رحلتْ
 وزعموا أنْ فقَ شاهدها توْكَض في أزميرْ
 ثم اختفت بين الكرومْ!
 ويحيى أنا المعدب المجنونْ!
 أكلّمَا التقطتْ من أخبارها خيطَ السفيَ
 خطفه الظلامْ?
 ((ولَي كَبِدَ مَقْرُوحةً من يبيعني
 بها كَبِداً لَيْسَتْ بِذاتِ قُروحْ?))
 ((أَبَاهَا عَلَيَّ النَّاسُ لَا يشترونها
 وَمَنْ يشتري ذَا عَلَةَ بِصَحِحٍ?))

.....

يا سيدِي البوسفورِ!
 تلك الرياح مزقتني بين شاطئيك موحةً
 أو حيرةً من رجفة الخريفْ?
 فأُخْبُرَتِي عن سفينـةـ

فاركبْ خيولَ الحزن إهنا هناء
 تعيش في (بارلاً) وتشدو وجدها
 على غصونِ القطرانْ
 فلم تزل بخلوة الأشجارْ
 تشهُدْ ذوبَ الشمسِ في بحيرة الأسرارْ!

 وقيل لي لربما تكون غادرتْ سراً إلى أزميرْ
 لتقرأ الحروفَ خفيةَ
 على سق الأقمارْ
 في أسطر الكرومْ
 والتين والزيتونْ
 يا سيدِي الإمام دلنيِ!
 فإنني أنا الحيرانُ بين أنجم السفرْ!

*** *** ***

حق أتيتْ حيَ فاتح
 وقلت للإمام: سيدِي أنا المريض دلنيِ!
 فقال لي: أفي الصلاة؟
 يا سيدِي! قلبي الذي قد كان وحدة
 مزقه حبُّ البحار خفقةٌ فخفقةٌ!
 يا سيدِي أنا المريض دلنيِ!
 فقال لي: ويحك يا وجه الردى!
 أأنت من يجيء من فاسِ مهاجراً?
 يحمل في عينيه مهرها؟
 قلت: نعم؛ فأينها؟
 فقال لي: قدرُكَ الأسفار تترى دونها يا ولدي...!
 ماذُنْ استنبولَ أيقظتْ دموعها...
 فرحتْ..
 وما لنا من أثرٍ سوى الذي ترى!
 وقال لي: ما من دواء غير دائها!

وقيل لي - يا سيدى البوسفور - ربما تجيء من طريق
وان

تحمل من عبيرها ذكرى الجذاب الروح
وتنشر الأزهار في الطريق للرياح
وقيل: بل لغابة "اسبارطا" جمال يجذب الأطياف
والأمطار..

فاركب هاث القلب نحوها
فربما ليلاً في سفوحها تحوطها الغزلان
مخطوفة الأبصار من جمالها..

وقيل لي: بل هي في (بورصا)
تلقطن النجوم والحجارة الكريمة
ت خطُّ فوق قمة الثلوج (ئون)
والقلم وما يسطرون)

*** *** ***

يا سيدى البوسفور..!

ها غيمك الجليل يزدهي بدره الجميل
فاقرأ سلام البرق للشطآن في مدائن الأحزان!
وقل لهم: سنتقى بموعد الأذان!
إذا تحرك الحجيج في مسيرة النخيل
يُكَبِّرُ الإمام أولاً
.....
ويُشْرَعُ الصهيل...!

شاطئ بحر مرمرة، منطقة (Gurpinar) (المنبع الفياض)
استنبول: ٢٧/٠٩/٢٠٠٢.

.....

أميرة الخلوات يا سيدة الأنواراً
 أتذكرين كيف أننا
 قدمنا من منابع الشموس والأقمار؟
 نهربُ الشعاعَ في أقبية السجون!
 ونونَقْد للنور ألف دمعة ودمعة
 ونصطلِي من قرهنَ في محاريب السحرِ
 حتى تسرّجَ البروقُ خيلها / هيبيها!
 وتقذفَ الظلامَ من مآذن استنبول!
 وتزرعَ البوسفورَ بالملطَرِ!
 وكيف أننا دفعنا للسنان رغيفنا الأخير!
 عسى يكون للطيور درسها الجديد
 ثعلمُ الفراخَ من منطقها الحكيم:
 (كأنني أكلت!)

المشاهدة السادسة (٢)

المكتوبُ الذي لم يُكتبْ !

إلى الأستاذ كنعان المسافر في رسائل النور أبداً!

(كَلما نادت اللذائذُ ينبغي الإجابة: " كأنني أكلت!")^(٣)
 فالذي جعل هذا دستوراً له لم يأكل مسجداً..
 (الكلمات: ٨٦٩)

^٢ بقيت كلامات في رسائل النور غير مكتوبة! وصارت من (المسكوت عنه)، فتوارت أسرارها بالمحاجب! وذلك مثل قوله:

(الكلمة العاشرة: لم يكتب هذا المقام بعد!) الكلمات: ١١٥.

^٣ عبارة (كأنني أكلت): اسم علم على مسجد من مساجد استنبول، يقع في حي السلطان محمد الفاتح. بناء رجل فقير مما ادخره من قوته اليومي، فكان يقول بدل أن يشتري طعاماً يشهيه: " كأنني أكلت! " فيوضع النقود في بناء المسجد!

وكان نوحُها وعزفها المخزونْ

فغضتِ الأصداءُ بالبكاءُ

وانفجرتْ رعودُها / أسودُها مُزفَّةً جرَّةً!

وانطلق الأذانْ:

(كأنني أكلتْ..!)

(كأنني أكلتْ..!)

سيدتي أتذكرينْ؟

لما أتانا هُدْهُدٌ من نُورْسٍ

يُوفِ في مباهجِ الجمالْ

منقارُه، أعرافُه، الـوائـه..

ولا يُرى على بهاءِ أثـر السـفـرـاـ!

وخطٌ فوق (الشـمـلـجاـ)

ثم بني أعشـاشـهـ/أحزـائـهـ على عـرـائـسـ الشـجـرـ

وكان أن تدخلتْ أطيافـهـ/أبدـالـهـ بـبـلـبـلـ من أـرـضـرـوـمـ!

وكان من هـدـيـلـهـ الخـزـينـ الـفـ حـسـرـةـ وـ حـسـرـةـ

سيدتي.. أتذكرينْ؟

لما سـطـاـ السـجـانـ في أـفـيـوـنـ

علـىـ بـقـايـاـ التـينـ وـالـزـيـتونـ

وـصـادـرـ الصـبـاخـ في عـيـونـناـ

وـغـرـبـ الـحـمـامـ عن أـبـراـجـهـ

وـسـوـرـهـ الـقـدـيمـ!

ولاحـقـ الأـعـشـاشـ من وـانـ إـلـىـ اـسـتـنـبـولـ

وـأـخـرـسـ الـهـدـيـلـ في قـبـابـ (بـاـ يـزـيدـ)

وـجـامـعـ السـلـطـانـ

وـاعـتـقـلـ الأـشـجـانـ في قـلـوبـناـ.. وجـرمـ الأـحـزانـ!

وـهـيـجـ النـوارـسـ الـوـلـهـيـ

علـىـ ضـفـافـ فـرـمـرـةـ

وـشـاطـئـ الـبـوسـفـورـ

وـكانـ حـالـهـ الرـهـيـبـ مـثـلـمـاـ رـأـيـتـ!

وجاءنا سيدني بنباً يقين !

مد جناحه إلى الطيور فجأة

فأشرق ألوانه كالشمس في المطر

وامتلاء المكان كله

هداهد من نور ..!

تيجانها المرجان والبلور

وقال لي:

دجال آخر الزمان خارج من ههنا

وهز عرفه الصغير وأشار

نظرت بانشداه، ثم قال:

بعيد رجفة أخرى !

صرخت ملء المي:

واندمي .. !

كيف وها الصباح لم يعد إلى البلاد؟

ولا مضت طلائع النجاد !

والخيَلُ واللَّيلُ القَتِيلُ؟

والسِيفُ والرُّمحُ الْكَسِيرُ؟

وَثَارُنَا الْقَدِيمُ فِي مَالِكِ الرِّمَادِ؟

وَدَوْخُنَا، وَظَلَنَا، وَمَأْوَنَا، وَتَاجَنَا السَّلِيبُ؟

لَكَنْهُ يَا سَادِي أَلْقَى جَنَاحَهُ إِلَى الرِّيَاحِ وَاخْتَفَى !

فَأَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّيُورِ نَفْسَهَا !

فَظَلَّلَهَا وَمَاءَهَا !

لَكَنْ نُورَ رِيشِهِ الْمَلَائِكِيَّ لَا يَزَالُ

يَبْرُغُ عِنْدَ كُلِّ فَجْرٍ صَادِقٍ بَيْنَ الْجَبَالِ

وَيَنْحِنِي عَطْفًا عَلَى الْأَسْوَارِ وَالْقَبَابِ

يُعْلَمُ الْبَلَابِلُ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا !

وَلَمْ تَزُلْ ثُرَدُّهُ الْهَدَاهُدُ الْوَهْيُ صَدَاهُ :

(كَأْنِي أَكَلْتُ .. !)

(كَأْنِي أَكَلْتُ .. !)

سَيِّدِي أَتَذَكَّرِينَ؟

أتذكرين خوفنا رجاءنا وفزعه الظلام!
 لما بكينا حلمنا القديم تحت طور آرارات
 وانفجر البركان لاهيا
 بالبرد والسلام!
 وحينها رأيت ما رأيت!
 وكانت المشاهدات فوق طور (تجام)
 ما بين حضن الدلب أو على غصون القطران
 فصاحت في الوديان كالمجنون سائحا:
 (كأنني أكلت...)!
 (كأنني أكلت...)!

مكناسة الزيتون: الأحد ٢٠ شوال ١٤٢٤ هـ
 ٢٠٠٣/١٢/١٢

المشاهدة السابعة^(٤)

مواجد أبي العالية الرياحي

إلى الشاعر محمد علي الرباوي
 في خلوة (الأعشاب البرية)^(٥)
 (الموت: تبدل مكان، وتحويل موضع، وخروج من
 سجن إلى بستان! فليطلب الشهادة من كان يريد
 الحياة!) الكلمات: ٨٦١

⁴ أبو العالية الرياحي أحد زهاد التابعين كان عبداً لأمرأة في العراق، فلما اشتهر بزهاده أهدته حلقة الحسن البصري، ولقب بذبيح الله. وكان إذا ذُكر بالله صعقاً! - والمواجد: جمع موجودة، وهي حال ذروة الوجود.

⁵ الأعشاب البرية: اسم ديوان للشاعر الرباوي.

وهدى التراثيل أسرى، وكل الهدى متنزه العاصفاتُ
 فلئن تصيخ إلية العراق فتبكي؛ وها البصرةُ اليوم
 مسجدها مغلقُ!
 فإذا يكون السفار إلى متزل الوجد فهو يطن الكهوف
 البعيدة، إذ تقلع السفن العارياتُ إلى شاطئ الأنس
 فائلاً ترَ الأرضَ توقف دورها وتُرجعُ نوحَكَ زلزلةً
 يتصدع من هوها الغرب والشرقُ!
 ولكنني عاشقٌ .. والنواحُ ربيعُ الهيامِ
 يؤسفني! .. فبكاؤك يا سيدِي اليوم عاصفةً تقلقُ!
 وهل كنتُ أبكي مریداً؟
 فإن أنا إلا ذبيخ، دمي كان غيشاً لزهر البراري، وعشب
 الجبال الخوالي
 وما نوحِيَ اليوم غير صدى الصمت يعزفه في فوادي
 سكون الليالي
 فأوقفْتَ إذا شئتَ هذى العواصفَ! إن خريفَ

.....
 يؤرقني الدجْنُ يا سيدِي
 فأنادي الماجدةَ عَلَيْ أرى هؤلاءِ المويدين يفتحون
 القنوتَ، فأرقص فجراً على طلقاتِ الماذنِ!
 حتى إذا كان بدء التجلّي رميَت بنعلي، وصحت
 بِطْبَقَالَ^(٦) في وجهِ كاهنةِ الليلِ:
 - ويحكَ إني أنا النور والنار آتيك باللهب المتقد في
 بطنِ مراكشِ!
 فما زال يومضَ مذ كان رسمُ الغصون على ظهرِ آدمَ
 فاضرب ببرقِ الغمامَةَ يرتفعُ المويقُ!
 وأشعلتَ دمعيَ فازْنَلَ الطودَ قبلِ السلامِ!
 فغفوا أيَا شيخُ هذا زماني!

فما عاد نوحَ المحبين ليلاً تُرجعُ أصداءَ هائماتِ اليمامِ!

⁶ جبل طُبَقَال: أعلى قمة من جبال الأطلس الغربية.

ولكنَّ جذب الجمال اجتبائي.. فما للإرادة في بحر حبي
رسوم!

هو النهر يجري فيفني على موجة الانتماء الشهيِ
في أيها الفقراء! المريدون نوحوا..!
فإن المحبين إن أحرموا وجدوا!

فمن ذا قديرٍ على منع رعشة هذا التخيلِ
إذا ما تولى الصبا داماً من مقام الخشوع، وورقَ أحزانه
وارفاتٌ على كل قلبٍ تقىٌ؟
فعفوا أيها شيخُ هذى مواجهتك اليوم تفتح حالاً جديداً

بكهفي البعيد

سأعلن أي اقتربتُ، وأينَ اسكنتُ حزني بنبع الرياحِ
بكاءً رصاصاً، وو جداً مباحاً!

فلسللقوا البابَ أو تفتحوه! هو الليلُ أعلن بدءَ الصباحِ!
وأشرق نور التجلي بكل العراق، فلا شيء إلا استحال
نخياً!

فكل الغصون تباح قصائدها للرياحِ!
فما أنا من شرع الاحتفالَ بهذى الفصولِ
ولا كنتُ حين استفاق الندى أعينا صافياتٍ تطل على
حمرة الوردِ
إني عشقتُ وما كنتُ أعلم عشقي إلى أن أحاط غصونيَ
أمرُ السفارِ!
فأوقفْ إذا شئت هذى العواصفَ.. ما كان مني اختياراً!
وأغلقْ إذا شئت كلَّ المساجد! أطفئ مناراتها!
غير أن المساء بها يتجلّى بهاءً، فأصمعْ - لا أدرى كيف!
- بمحراها ساجداً!
وأصلّي مع الفقراء إلى أن يغيب سنا الأخضرارِ!
أنا لم أكن حينما بشرتُ قطرةً الماء بالنخل في واحتي!
ولا كنتُ حين أسرَّ جريدي بالعشق للنور قبل انزلاعي
وأقسم ألا يخون الجمالَ البهيِ!
مريدٌ أنا ..

الشاهدة الثامنة

دجلة مهْرُها من لَهَبِ !

إلى ترجمان الوجдан: الأستاذ إحسان قاسم الصالحي

(ولقد كنتُ في وقت ما، في الحرب العالمية الأولى، أتألم
كثيراً من المظالم والقتل الذي يوتكمه الأعداء تجاه
المسلمين! ولا سيما تجاه أطفالهم وعوائلهم! و كنت
أتعذّب عذاباً يفوق طاقتني! لما فيّ من شفقة مفرطة،
ورأفة متزايدة!) (اللاحق: ١٢٤)

وقال أويوب بن خولي البجلي يوثي أصحاباً له قتلوا:
تركتْ تميمَ بنَ الحبابِ مُلْحِباً
تبكي عليه عرسه وقرائبه
وقد أسلمتْ قيسَ تميماً ومالكاً
كما أسلم الشّحاجَ أمسِ أقاربه

فكل التماثيل نخلٌ، وكل الصخورِ، وكل الحديدِ، وكل
الراكبِ
حتى البناءيات صارت نخيلًا، نخيلًا... نخيل!

.....

وتَدُوِي الرياحُ!

الحمدية/المغرب: ٢٨ شعبان ١٤٠٩ (١٩٨٩/٠٤/٠٥).

وقال عتبان بن أصيلة الخارجي، مخاطبا عبد الملك بن مروان:

لعمري لقد نادى شبيب وصحبه على الباب لو أن الأمير يجيب!

فإنك إلا ترضي بكر بن وائل

يكن لك يوم بالعراق عصيّ!

فوارسنا من يلقهم يلق حتفه

ومن ينجي منهم ينجي وهو سليم!

وأين تدس انتقامك أيها السامي؟

فعجلك صهيون تعليمه، ليروث على القبلة العاشرة!

وفي الشمس يحمل محراً ثأر الأطلسي، ويركتض بين

الحظائر، يرعد في البوق من خلف كل الإذاعات، يصنع

أمجاده من عباءته الوافرة!

هنا نجد: حاضرة الروم تنشر أحلافها بين قلّ أبيب

ومكة

فالآن كل المراسيم كاملة الشكل واللون

لم يبق غير المغني!

فمن قال: لا يطرب الحمى منشد؟

فللتغنّ القيان من الشام والقاهرة!

ولا تأس يا صاحبي!

فمن ذي تكون التي تستضيف العلوج بخيتتها..

إذا لم تكن فاجرة؟

إذا هب عاصفه بين أشجار قلب تكسّر أغصانه واحداً واحداً؟

ألأني أحب؛ أليخ لمزبرة الروم في وطني أن تشرع بين
جناحـي هذا الفراق؟
أحب العراق!

وللحـبـ فـيـ عـلـيـكـ وـأـمـ

ولـلـحـبـ بوـحـ.. وـبـوـحـ الـهـوـيـ مـنـ زـعـاقـ!
ولـكـنـ أـنـاـ صـاحـبـيـ مـاـ شـرـعـتـ الـهـوـيـ..

فـهـاـ هيـ فـاسـ مـآذـنـهاـ كـلـ فـجـرـ تـرـدـدـ عـشـقـ العـراـقـ!
وـإـنـ كـانـ شـيـخـ السـلاـطـينـ يـصـنـعـ فـتوـاهـ حـلـوـيـ يـؤـهـلـهـاـ..
ثـمـ يـأـكـلـهـاـ إـذـ يـجـوـعـ مـسـاءـ!

فـبـؤـتـ بـخـسـرـانـكـ الـيـوـمـ مـنـ تـاجـرـ!

أـتـجـيزـ الرـكـونـ لـظـلـ النـفـاقـ?
بـنـاءـ عـلـىـ (ـسـنـدـ)ـ مـنـ ذـهـبـ?

فـلـيـصـرـخـ العـجـلـ مـاـ شـاءـ إـنـ الـخـوارـ سـيـقـىـ خـواـرـاـ:
(غـداـ سـيـحـرـ غـاصـبـ قـبـلـتـنـاـ القـبـلـتـيـنـ!)
(ويـطـرـدـ مـنـ قـدـسـنـاـ الـأـجـنبـيـ!)
(غـداـ سـأـحـرـهـاـ.. وـطـنـيـ أـنـاـ وـطـنـيـ!)

سـتـحـرـرـهـاـ؟.. وـأـنـتـ تـبـولـ عـلـىـ ثـوـبـكـ الـعـرـبـيـ!
أـلـأـيـهـاـ الـوـطـنـ الـمـتـرـدـدـ بـيـنـ مـخـاضـ الشـتـاـ وـنـزـيفـ الـخـرـيفـ!
أـلـلـشـتـوـ تـرـحـفـ أـمـ سـبـقـ الـعـذـلـ سـيفـ الـتـرـيفـ?
فـلـمـنـ سـتـغـيـ الـبـلـابـلـ فـيـ بـصـرـةـ الـحـزـنـ آـهـ!ـ لـمـنـ سـيـغـيـ

الـشـجاـ؟
أـلـعـاصـفـةـ الـخـوفـ أـمـ (ـلـهـسـيـنـ)ـ الرـجاـ?
فـهـاـ أـنـاـ ذـاـ أـشـهـدـ النـخـلـ فـيـ كـلـ وـاحـاتـهـ أـنـ عـرـجـونـ
مـرـاكـشـ مـنـ لـقـاحـ الـعـراـقـ!
فـمـنـ ذـاـ قـدـيرـ عـلـىـ مـسـخـ ذـوقـ الـأـحـبـةـ فـيـ كـبـدـيـ?
وـمـنـ ذـاـ قـدـيرـ عـلـىـ مـنـعـ مـسـكـ الرـدـيـ أـنـ يـثـرـ فـضـولـ
الـأـنـوـفـ

وتدهن! كيف؟ وإنك تدرِّي بأن ارتداء اللهيب
احتراق!

وربقة دينك يا صاحبي من هبْ !
أحب العراقْ !

فها وَجَدَةُ الْيَوْمِ شَاهِدَةً أَنْ طَنْجَةَ سِيدَةِ الْعُشُقِ لَمَّا تَزَلَّ
تَشَرُّخُ الْحُزْنَ سَارِبَةً فِي ضَيَّابِ الرِّبَاطِ
وَتَسَأَلُ: أَيْنَ فَتَاهَا ؟

فَكُلُّ الَّذِينَ يَمْرُونَ مِنْ بَيْنِ أَحْزَانِهَا سَارِبِينَ يَجْيِبُونَ:
إِنَّا رَأَيْنَاهُ يَوْمًا يَمْرُرُ هُنَا عَبْرَ هَذِي الشَّوَارِعِ سِيَّلًا يَبْشِرُ
بِالْأَنْعَتَاقِ !

كَانَ مَصْحَفُهُ رَأْيَةً كَبِيرَةً لِلزَّلَازِلِ:
يَا أَيُّهَا الْعَجْلُ ! مُوسَى عَلَى الدُّرُبِ آتِ
فَأَخْبَرَ عَبْيَدَكَ: مُلْتَنَا مَطْرُّ من لَظَى !
فَاغْتَسَلَ يَا شَهِيدًا !

وَأَعْلَنَ هَوْجَ الْرِّيَاحِ: بَرَأْتَ إِلَى اللهِ مِنْ مَلَةِ الإِرْتِزَاقِ !

أَحْبَّ الْعَرَاقَ !
وَلِلْحُبِّ نَهِيَّ عَلَيْكِ وَأَمْرُ
فَكِيفُ السَّبِيلُ إِلَيْكِ أَيَا دَجْلَةَ الْخَيْرِ ؟
هَا مَهْرُوكُ الْيَوْمِ صَارَ هَبِيَا !
فَهَلْ يَا (سَبُو) قَدْ تَرَاكَ قَدِيرَا عَلَى سَبِقِ
أَقْرَانِكَ الْعَاشِقِينَ ؟
وَفَتَحَ جَنَاحِيكَ لِلْقَادِفَاتِ، تَزَغَّرَدَنَ بَيْنَ
النَّخِيلِ؛ فَتَنْتَصِبُ (اللهُ أَكْبَرُ): رَأَيْتُكَ الْمُشْتَهَىَةَ
بِيَارِزَ مِنْ تَحْتِهَا السَّاعِدُ الْأَسْمُرُ !
أَلَا يَا سَبُو يَا أَمْيَرَ الشَّجُونِ حَدَائِقُكَ الْآنَ عَطَشِيَ !
وَدَجْلَةُ فِيكَ تَجْلَتْ عَرَوْسًا تَسَاقِي فَوَارَسَهَا، فَاسْقَنِي !
إِنِّي لَا أَسْرُ إِذَا أَمْكَنَ الْجَهْرُ !
هَذَا فَوَادِي يَمْوَجُ
وَمَوْجَكَ يَا دَجْلَةَ الْيَوْمِ وَشَحَّهُ الْقَصْفُ أَجْنَحَةً مِنْ دَمِ
الْقَدْسِ

وإجباره أن يسير كباقي القنم !
 فيرغو؛ ويرغو القطيع: نعم !
 نعم!.. نعم!.. نعم !
 ألا يا أمير الغواي يهود لك اليوم ترس
 فدمّر بلاذك! قتل فوارسها الفر ..!
 وانشر عباءة خزيك فوق الحرائر !
 كل النساء لك الآن سبّي !
 فكُلْ وَتَخَيِّرْ إذن بين حُمْرِ النَّعْمِ !
 وأما العجلول فمنذ مق عَرَضَتْ للأمير؟
 ومن أصعبيه جرى النفط (معجزة) أحرقت شجر العزّ
 فينا ?
 فواعجا! حفراً غدتِ اليوم كل القمم !
 أتعجب؟ ويحك هذا زمان جديد:
 غدا سعنافق أهل الكتاب

ألوائها من ربيع اللظى.. والشذا عنبر !
 فاسقني !
 أعادل كُفي من العذل ! هذا أوان الخروج، وكل الجراح
 تنوح:
 إلى م .. إلى مَ ينام على الذل في غمده الخنجرو؟
 ألا يا مزار الأحبة في يثرب !
 أفي آخر الدهر ترعى الخنازير في حرمات الحمى?
 وتشرب من نفطه ما تشاء ?
 قريش تنصرتِ اليوم يا سيدى !
 ودانت بدين العجم !
 فقد عَطَّلتْ شَرَعْ بارئها ..
 وخررتْ تُمَجَّدْ شرع (الأمم) !
 فها هي ذي بالجوار العتيق تُنصبُ صلبائها !
 وتضرب من قال: (لا)؛ بالحُمْمِ !
 وقتنتصر المترفين عليه؛ لتمزيق أوصاله بالصلب

المشاهدة التاسعة^٧

هَمْسُ التِّيلَيْنِ

إلى الأديب الناشر شعراً: الأستاذ أحمد الأشهب

(وها هم العرب قتلوا شقيقهم البطل خطأ، ومن حيرتهم
لا يعرفون كيف يكون وينتسبون!وها هي إفريقيا
قتلت أخاها دون علم به، والآن تصرخ وتولول!)
(صيقل الإسلام: ٣٦٥).

فيا خوتنا في الإله - لفروط محبتهم للسلام - هم الآن قد
حفروا خندقاً في الخليج
يعانق فيه الهلال الصليب!
وبارك هذا الهوى العَمُّ سَام
وباركه بعد شيخ الأمم!
في رب! هذى القوافل ساريةٌ في الدجى
والخداء بها ماجن، لا يغار!
فمن ملوك الطوائف يا سيدى
(بِزَلَاقَةٍ)! ترفع الذل عنا، وتنسخ شرع الظلَم؟

المغرب/المحمدية: فبراير: ١٩٩١ م.

⁷ بين مدیني الخرطوم وأم درمان بالسودان يتلقى النيل
الأزرق بالنيل الأبيض؛ ليشكلا بعد ذلك نهر النيل الكبير
الذي يتدفق نحو مصر. ويقال: هنالك هو (مجمع البحرين)
حيث التقى موسى بالخضر عليهما السلام.

تشرق منهن عرائسُ يشنون غدائهن / جدائهن قصيدة
غزلياً من أزهار العنبر !

آه يا ولدي مَنْ لي بصبَّايَ الحالمِ أغرسه أيامًا أخرى
تنمو بالخرطوم حدائقَ من شجر الأحزانْ ؟
آه يا ولدي لو كانْ !

لو كانت تجربتي الأولى حباً قد صيفت كل قصائده من
لهجة هذا الوادي ..

لستُ الآن رياحَ الزَّمْنِ الفجْرِيِّ
ولاستشقتُ - ككل الناس هنا - عَبْقَ الماءِ السَّاجِي
وشعاعَ السمرة وهي تبيح لريشتها أن ترسم كل
الألوان !

واحاتك يا جُوفُ^(٨) ظلالُ نخيلٍ تهمس بي في صفحة
هذا النيل الساري عبر فؤادي :

^٨ قرية الشاعر بإقليم سجلماسة جنوب شرق المغرب.

.....
سيدي ! ..

يا زهرة هذا العَيْقِ الأَسْمَرْ !

يا عطر العود الليلي !

يا وهج البرق الأخضرْ !

شَفَرُكِ هذا المتدقق عبر النَّيلَيْنِ هَمَائِلَ تسحري ببحور
الجنة !

تملئني شوقاً نحو منابع هذا الوطن المكونْ

عسايَ أعنقِ أدغالِ الماءِ

وأرحل عبر غدائها نحو تخوم الجرح النازف مسَاكًا
وجمالاً !

هذا النزورق سيدي الراحل عبر الهمس الليلي
يناديني أنْ أقبلْ !

إن جنوب بلادي أعراسَ هَمَيْدِي بين الطلاقة والطلاقة

لالأغصان مراكبَ من عاج فضي

أنْ يَا غصنَ الرملِ! أَمَا آنَ لنبضكَ أنْ يرجعَ للساقيَةِ
الأولى

ويزاحمَ أغصانَ التينَ على نبعِ الكوثرِ؟

لکني سیدی آه عصیتُ کثیراً، وبعدتَ کثیراً!

حقَ ضاعَ فواديَ بينَ مدائنَ ليسَ لها منَ فصولَ
الحولِ سوى عاصفةٍ تغدو وتروحَ صقيعاً تتر يا!

فلعلَ عدائوكَ السوداءَ تضمِنْ خنيَ بمقامِ الصّحوِ

إذا ما أبصرو هذا الليلُ الساجي بنجومِ السَّحرِ الناثرةِ
الْحُبُّ جمالاً، وقصيداً عذر يا، وبقايا منْ همسِ بشينةٍ تَبَثَّ
مواجدهُ أصداءً تتداعى عبرَ الأزمانْ!

فلمَنْ تحكي يا أمسِ مواجعكَ الآنْ؟

هذا الولدُ الشاعر قد فتنته الفرسُ الصافيةُ العينينْ
فها قد ركضتْ سافرةً نحوَ منابعِ أنغامِ الفجرِ الأولىِ
كَيْ تشربَ منْ أولِ دُفقاتِ البَيْدَرِ
 حينَ تفيضُ سابلُه رقصَ عذاريَ منْ جرحِ أحضرَ!

عجبًا! كيف تخاصري داليةُ الحزنِ أغانيَ منْ ترنيمِ
(مهوقي) وأهازيجِ (النّيم)?^٩
وتنعني أنْ أسترجعَ ذاكرتي!
إذ ترسّبني طفلاً أنتَ بينَ عواطفها الرئيسيَّةِ
مسحوراً بروائحها، مجنوبَ الوجودانْ!
سيدتي! إني أعلنتَ استسلاماً للحبِ الدافقِ عبرَ النيلِ
جنوباً فشمالاً!
فحذيني!
إني آليتُ على ألا أمنعَ عنْ قلبيِ اليومِ جمالاً!
وحذيني!
إني الشحورُ المسحورُ!
فلا كانتْ أيامِي بعدُ، ولا كانتْ أشعاري إنْ حرمَتْ
حلاً!

^٩ مهوقي والنّيم: نوعان من الشجر المنتشر بالخرطوم.

سلاماً هي يا زورقُ - ما جَدَفَ المجدافُ - على حقل
 القمح الأسرِ
 والقمرِ الناثر فوق النهر هاءُ وجلالاً !
 الخرطوم - على ضفاف النيل: ١٩٩٥/٠٤/٢.

الشاهد العاشرة

لاهبْ ورَدْ هذا الزَّمَانِ!

إلى الشاعر سعيد ساجد الكرواني، على رهبة شفق
 غارب؛ لاستشهاد الدكتور فتحي الشقاقي!

(لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد.
 إلا أنها الآن تعادي الحياة بأكملها!)

فإن كانت الحكومة على هذا الشكل والمنطق، فليعيش
 الجنون! ولعيش الموت! ولتعيش جهنم مثوى للظالمين!
 صيقل الإسلام/المحكمة العسكرية العرفية، ص: ٤٤٠

.....

بداية الوجود:

تناديني القنطرةُ اختلاسا

فأذكراها على بُعدِ فَاسِي

وتازة ليلها أضفني جناحي

فما نسيَ الفؤادُ وما تنسى

تحاشتنا الطيورُ على ترَاخٍ

وَكَنَّا عندهم قطْفًا غِراسا

فها نَشَفَ الغديرُ فلا هَدِيلٌ

يؤانسنا إذا ما الحُزْنُ جَاسَا

فصرنا بينهم من بَعْدِ وُدٍّ

نقول - بغير ذنبٍ - لا مِسَاسا!

شيوخ القبائل قد رفعوا راية العز فوق المواتير ليلاً!
 ولكن نساؤهم في الصباح يعن ضفائرهن بسوق يهودا
 فمن لرقاء الزنادقة الخائرين بسيف الفقار؟
 ومن للحوافر يقدح أحزانها غضباً؟
 ويرفع في الجو بعض الغبار!
 آه من للصلوة بحراب تلك الشغور إذا اشتعل الوقت في
 غسل القر؟
 هل من إمام يرتل أذكاره عبر مسبحة من رصاص؟
 وكيف الصلاة وكل الأئمة قد غرقوا في النجاسة؟
 كيف؟ وهذا الصف من خلفهم يتسع بين الدروب
 يفتش عن لقمة بين مزبلة لليهود ومزبلة لليهود؟
 حماس لك اليوم أن تيأس من فحولة هذى العجلون!
 فما عاد منها الذي يشحد القرن للنطوح
 أو يتحرك للفضح
 ينشق شيئاً من الريح - سهوا - ليُصدر بعضَ الخوار!

ذروة الوجود:

وما كل ما تتمى المواجه تدركه!
 فاه أيها فارس الغمرات!
 أو حذك تقضي؟ ووحدك تبعث في وطن
 القبرات؟ ولا بازيَ اليوم يكسر صمتَ الصدى؟
 فمن يقطف الشوك إذ يتفتح في الفجر؟
 ومن يقطف النار حين تفوح أزاهراً عنبراً؟
 ومن ذا قدير على فك ألغاز هذا الفق..؟
 إذ تسرّبَ الغامَه وسرى.. يتشكل من طيفه الفرد
 سبعون طيفاً،
 إذا سجَدتْ أهبتْ كلَّ هذا الشرى حَجَراً حَجَراً!
 آه ساحري! يا حماسية الخطوطِ!
 مهْرُك موجدة في انفجار.. قتيلك فيه المحب فتيل!
 فما أكثر القوم حين تعد الفوارس!
 لكنهم عندما يذَكر المَهْرُ صَفْ قليل، قليل!

سلام على زمن الضغط عبر الإذاعة سترا لعورة التواطؤ
 هذا زمان افتضاح الخيانة! هذا زمان افتضاح الثوار!
 في أيها الولد المتفرد بالسير ليلا إلى موكب التغريب!
 كُنْ أُمَّةً من ربيع الحزن!
 فهذا العواصم قد فقدت نبضها!

فقدت لوئها! فقدت ريحها! فقدت كل معنى جميل!
 فيها رحل الطير، والنهر، والزهر، والساقيات، وكل

التغاريد

حتى المنازل قد أسلمت روحها!
 ولم يبق من سكن أو وطن!
 لم يبق إلا الصخور ورأس الوثن!
 وأشباه قوم يخرون صرعى - وما هم بضرعي -
 ولكنهم يتهاونون ذلا بسوق الفتن!
 ساحري! يا مجنة الخيل! بارقة الليل قد خطفت كبدى!
 فخذيني إليها...

فإني مُشْوِقٌ بـتغريدة الفجر حين صفاء المقام!
 كلما زغرد الموتُ وهو يزف بشائِرَ حُزْنٍ جديداً!
 فيشتعل الفصنُ أقواسَ نصرٍ تهيج التوأجَدَ برقاً يشق
 الظلام!

.....

ويكِي اليمام!
 فلا تنتظر صاحبي..!

دمُكَ الآن هر يجوب الشوارع في الشرق والغربِ
 والخيلُ ساكنة العين حول القصور، ترد التحايا لوفدِ
 السياح!

هنيئاً لك القطر يا سعف النخل!
 هذا أوان التدفق، فانشر عراجينك الزاهيات، وأنداءكِ
 الطاهراتِ

فهذا مقام الفناء بقاء جميل!

وإنْ تواجد هذا الزمان ارتعاشٌ، ووارده طلقةٌ من أذان

الصباح!

فهل أذن الرعد لل العاصفات؛ وللشجر المتبل في الليل؛

أن يتحرك زحفه رغم الجراح؟

ألا لأهْبَتْ ورْدُ هذا الزمانِ

فقم صاحبي.. وانطلق في الرياح!

مكناسة الزيتون: ١٠/٢٩ م. ١٩٩٥.

المشاهدة الحادية عشرة

المدارُ المختلف

إلى الشاعر الأستاذ محمد لقاح

(في مثل هذا الزمان لا يأذن الشرع لنا باختيار التوفه!
 (...) إن نعمَةً ما من درجةٍ ضمن كل مصيبة. لاحظها
 بدقة لتشاهدتها! إذ كما توجد درجة حرارة في كل
 شيءٍ؛ ففي كل مصيبة توجد درجة من النعمة!)

الكلمات: ٨٦٩.

.....

(...) وأشهدُ أن فصلَكَ من مدار الإنحطافْ !
 قد اكتهلَ الزمانُ ولم تزلْ
 فيكَ الطفولةُ ترتدِي أشواقَها
 والاختلافُ

المورياتِ هيَها

وسلِ الخفافُ

.....

يا صاحبي وجب اللظى فلتتشتعل
كلُّ القصائد في جواه!
أنا المريد فدلني !

وأشهدُ أن فصلكَ من مدار الإنحطافْ !
هذا أوائلك سيدِي
فاملاً قصيدهِ واسقني !
ولتحتملْ غدرائكِ الغضبي دمًا
حقِ الضفافْ !

مكناس ٣ ذي الحجة ١٤١٧ - ١٩٩٧/٠٤/١٠

من ذا قدير أن يفسر حزنه البسامَ فيكَ
وأن يترجم زهدَه البدويَ فيكَ
لما يوقع شعرُك المجنوبُ أحوالَ الجراحَ ?
فسلِ الرياحْ !

إذا شرقِيَها ألقى إلى الفلوات رجعاً من معلقة الكفاحْ :
يا... !

ومضى الصدى متوجعاً !
فتَدُوي: (إنْ تكن ...

فأنت مصابُ، أنت مصابُ !)
فاعزفْ شجاك بذروة التغريد ينكسرِ الربابْ !

واذنْ لشرع الشعر أن ينزاح عنا هادئَا
فالليوم يبدأ صاحبي شرعُ الحرابْ !

لا خضرةٌ تُرجَى من السبع العجافْ !
فسلِ الحوافرَ في السرى : كيف السرى؟
العادياتِ إلى السُّها

وتصطرب الأوزانْ !
آه سيدتي .. !
هُمْسُ النار على خديكِ رهيبُ
الحظه مأخوذه القلبِ
فيصرخ في وجهي صمتُ العينين الناعستين :
ويلك يا وجهة الحزنِ الحالكْ !
إنك هالكْ !
إنك هالكْ !
وأشيح بوجهي فورا
إذا بي أبصر في الأشياء عميَّ
يبتلع الألوانْ !
أوَاهُ فقد صدَقَ السُّحرُ كواذبةُ
فالبسن خلواتك يا مجنونْ !
إنَّ العشقَ غيابٌ لا يرجع صاحبُه أبداً !

المشاهدة الثانية عشرة

رمادُ الطَّيْر

إلى صاحب الكلمات الأخرى :
الشاعر الأستاذ عبد الكريم الطبال

(أرى الموت صديقا لا أخافه مثلك !)
أدخل القبر باسمها، لا أرتعد مثلك ! (...)
سأقوم على صدى أذان إسرافيل في فجر الخشر، قائلاً :
"الله أكبر" !) الكلمات: ٢٢٩

.....
طيفُك يعرض بين يديَّ غوايته الآن !
يسحرني
يخطفني من وعي الغيب الشاهد بالأحزان على الأحزان
يلفح وجهي بمواجهه الحرّى ..

ويরتفعُ الحاجبانْ !
.....
حنانيكِ لا تنطقِ !
إنني راحلٌ ..
فما أحزنَ الموتَ بين يديِ حورياتِ الضبابِ !
سألتك بالله أن ترشدِيني !
فإني ضللت الطريق إلى النجمةِ القيلَ : قد سقطَتْ لوعةَ
شهادةً !
فشبَ الحريقُ بأطيارها والشجرُ
وكان الرمادُ، وكان المطرُ

ووجهُها يشحبُ الآن في أفقِ السورِ مُنسجِها في هدوءٍ
فيبدو اخضرارُ
كسطحِ الخميلة ، ينبت من طحلبِ في الجدارِ
فينمو ، وينمو .. إلى أن يشبَّ غصونا

ذات مساء ..
جسَ العطارُ الفرعَ الراکضَ في كبدِي ..
أطرقَ دهرا ثم أفاقَ وقالَ :
دواوكَ يا ولدي ..
- وامتلأت عيناهُ أسى - بعضُ رمادِ النَّجْمِ الساقطِ في
البستانِ !
.....
كانت داليةُ الليل الساجي تنشر خضرها ..
وأنا .. وحدِي أسرى بين مسالك طنجةَ سرَا
أتملي لوحتها المخبوءةَ فرداً ، ويدِي تحمل فانوسا
مرتعشاً :
ويحيى ! أرى أم أشهد ؟
ها بسمتها المرسومةُ بالماء على سورِ أثريٍ تنقبض
قليلاً !
قليلاً .. قليلاً !

يدب على السُّعْفِ النَّاثِرِ
كالدموع التَّسْلِيُّ الْهَوَيْنِي
وَيْ ..

كأيَّ أَسْعَمْ أَنْغَامَ عَوْذْ
وَبَعْضِ الصَّدِىِّ مِنْ نَشِيجِ الرَّبَابِ!

.....

وَتَجَلَّتْ ..!
عَجَباً!

كانتْ عذراءً مِنْ الْخَرْطُومِ تَغْطِي كُلَّ عِقَاصٍ ضَفَّافُهَا
الْسُودُ بِأَقْمَصَةِ الشَّهَداءِ !

قالَتْ :

أَيَّانَ شَرُودُكَ يُرْسِي يَا مَجْدُوبَ ؟
قلَتْ :

كَيْفَ عَرَفْتَ ؟ .. إِذْنَ أَنْتَ النَّجْمَةُ أَنْتَ !
وَابْتَسَمَ

تطول ذُؤابُّهَا عاليَا ، عاليَا ..
كَأَيْدِي الْمَلَائِكَ تَسْبَحُ فِي أَفْقَهَا
فَتَبَدُّو وَتَخْفَى وَرَاءَ مَرْوِجِ السَّحَابِ !
وَتَحْمَلُنِي الرِّيحُ يَا سَادِي فِجَاءَ
ثُطُوحُ يِّي فِي الْفَضَاءِ ، ضَعِيفًا كَفَرْخِ الْيَمَامِ !
فَتَطَرَّحُنِي بَيْنَ غَدَرَاهَا .. وَأَرَى :
سُورُ غُرَنَاطَةَ الْآنِ يَبْدُو حَزِينًا عَلَى الضَّفَةِ الثَّانِيَةِ
فَهَا الدُّورُ مِنْ خَلْفِهِ لَمْ تَنْزِلْ فِي اصْفَرَارِ الْأَسَى نَائِيَةً !
يَكْفِنُهَا الْعَشَبُ ، فَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْزِلْ يَذْكُرُ الْعَهْدَ مِنْذِ
الْطَّفُولَةِ !
يَخْفِي حَيَاءَ صَوَامِعَهَا وَالْقَبَابَ

وَيْ ..
كَأيَّ أَسْعَمْ أَنْغَامَ عَوْذْ
تَسْحَحُ كَسْجَعِ الْعَصَافِيرِ ، كَالمَطْرِ الْعَابِرِ
كَالنَّدَى ، كَالرَّدَى

- قلتُ : أريني أنظر إليكِ !

قالت : أولستَ تراني ؟ أعمى أنتَ ! فها قد شفَّ
حجابي جميع القراء ! .. أنظر !

ورفتُ إليها بصرى .. فانفجرتْ !

وأصحاب عيوني الحمراء رمادُ صفائرها ..

فتدفعُ مني الإبصارُ جداولَ قلتهم الصحراء !

وعرفتُ :

.....
فجردتُ من عشقِي المستبدِ جناحين ثم انطلقتُ أطيرُ
إلى قبة الصخرة العاهرة !

هنا لكَ قيل : صغار الطيور تعلمُ منطقها للكبار !

فتصطفُ ترقبُ لحظتها

عندما يأذن الدورُ بالإنفجار !

فينهدُ ليلُ البلاد !

وعارَ رفيقُ العمادِ !

أناخَ بـكـلـكـلهـ قبلـ سـبعـ وـسبـعينـ منـ عـمـرـنـاـ !
فيـشـتعلـ الـرـويـشـ بـرـقاـ يـذـيبـ السـحـابـ !

يـوشـ العـيـونـ بـحـاءـ

وـبعـضـ الرـمـادـ

الرباط / مكناس : ١٩٩٧/٠٨/١١ .

فها الموج يقذف بالظلمات على الشاطئ المطمئن
لأحلامه ..

وينفجر الرمل يا بؤسه باللهيب!
لتكتب شعر الندم !

ومَنْ غَيْرُ نَيْرُونَ أَبْلَغُ فِي وَصْفِ أَحْزَانِهِ?
قال لي:

إنني قد رأيتُ (سُهيرًا) تسير هنالك في وحدة الروح
تبكي على أثرٍ من بقايا وداعٍ باليةٍ!
قال لي :

تتأطط بعض قصيده ، أو بعض وجهك في صورةٍ
عَشَرَتْ - صدفةً - على بعض أطرافها في الرماد!
فها طرفها / خوفها يرمي الآن طيفك حين تكسّر
غضنك في الريح ليلاً ..
وكان الذي كان ... آه !

المشاهدة الثالثة عشرة

مبدأً جريح

إلى الشاعر الصديق: الأستاذ عبد الناصر لقاح

(أيها المريض الوحيد الغريب العاجز! (...) ما دام هو
موجوداً ينظر إليك بكل شيء موجود لك! والغريب
حقاً والوحيد أصلاً إنما هو ذلك الذي لا ينتسب إليه
بالإيمان والتسليم!) اللمعات: ٣٣٧

.....
كما تجُمِّع الكلمات إذا صرختْ أدمع الحزن في
مقلتتها ..

وَجَمَ الشِّعْرُ هَذَا الْمَسَاءُ !
فَكَانَ لِأَبْحَرِهِ الْزَرْقِ لَوْنُ الْأَلَمْ !
وَكَانَ لِأَفْوَاهِهِ الضَّارِيَاتِ صَرَاخُ الرَّدَى ..

وتشرد ملء جفونك عَوْضَ الْبَلَادِ !
 قال لي :
 كان بين القبور لها دوحة من هديل اليمام ..
 يَبْثُ مَرَايَيِ التَّدَمْ
 وَيَسْحَعُ عَنَا غَبَارَ السَّأَمِ
 وَلَكِنَّ الْيَوْمَ يَا سَيِّدِي لَسْتَ تُصْنَعِي .. !
 وَبِالْأَمْسِ قَدْ صَدَقْتَكَ السَّمَاءِ
 فَامتد حبك في لحظة من صفاء قليل
 لكي لا يُكَذِّبَ أشجار روحك / شهوة خوفك
 ثُمَّ انتشيتَ قليلاً ، قليلاً
 وَكَانَ أَخْضَرَارُكَ غَصَنَا جَمِيلًا
 وَظِلَّاً ظَلِيلًا
 وَأَطْلَقْتَ فِيهِ حَصَانًا نَبِيلًا ..
 وَلَكِنَّ أَمْكَنَ لَمَّا يَزُلْ قَبْرُهَا - مثلما قال لي -

وكان نشيخ جزائري الرَّجْعُ ، يشعّل كُلُّ الجرائد عبر
 أسي « أم سعد » (١)
 يترجم ولولة الحزن للريح شِعْراً ، فتبكي (سهير) ،
 وقد حل طيفك (سيفاً) وليديا يوسف الشهاد !
 يردد في مهدده :
 « ساذكر تلك التي ترقد اليوم في مكمن
 ليس يعرب عن نفسه / اسمه ..
 ويجسد حبي لها ..
 أو صلالي إذا ما اشتهرت البكاء على قبرها ! » (٢)

١٠ (أم سعد) : امرأة جزائرية فقدت كل أسرتها في مذابح الفتنة الجزائرية، فأشهرت الصحف صورها الباكية؛ فكانت لها دلالتها الرمزية!

١١ مقاطع من شعر الأستاذ عبد الناصر لقادح. والأعلام المذكورة في القصيدة أسماء أبنائه.

ومن غير طيفك ذاك المسجى هناك قتيل؟
أُمكَّ اليوم تنظر من بروز الغيب ، تنسج في صمتها
الأبدى
قال لي :
لم ينزل طرفها - مثلما كان في آخر الليل - يترف حتى
تعود!
عسى وجهك المتهدّم تحت الظلام الجريح يذكّرها
بعض أحرفه
فتتاديك : يا ... !
تحاول أن تذكّر : يا...!
- يا ولدي ..!
وتنشر فرحتها خضراء :
«أحبك حق لتجدو العالم آسراً
ويغدو القبيح جميلاً
أحبك حق تصير امتداد اخضراري

ينادي سهيرا ، ولا يتذكر منك سوى دمعتيها!
الستَّ الذي قد أضاع اسمه عابثاً؟
وقد نسجتَ بأحداقها النائماتِ - وللموت حقٌّ -
وستَّكَ في حُلمها (رجلًا) !
عساها قد اخضراها وتطلق فيه حصاناً نبيلاً .. ولكن؟!
ولكنَّكَ اليوم تحرقُ كلَّ الحدائق ، تفتال فطرتها عابثاً!
وتهرقُ من كأسك المُرّ بعضَ القصيدِ على قبرها!
ولكنْ إسمك قد ضاع من روحها أسفًا!
فها أنت ترمي بكفك / سهمك في حمرة الليل يا
صاحبِي !
ثم تشتعل النارُ غضبي...!
وتنطلق النائحاتُ بكلِّ الجزائرِ .. آه !
وفيك لوهَرَانَ عشقٌ قديم
فتبكِي .. عجيب !
فمن غيركَ الآن يا سيدِي قاتلُ ؟

ها رهبة الصمت بعد خُلُوّ الرصيف!
 فلم يبق في شمعة الليل من أملٍ
 سوى دمعة واحدة!
 ترَقَرَقُ في مقلتيها
 ولم تَهُو بعد
 عساك تعود!

مكناس : الاثنين : ٢٣ فبراير ١٩٩٨.

وأطلق فيك حسانا نبلا ! «
 فهلا كففت بُنَيْ .. ؟ !
 وأقلعت عن دس وجهك في معطف الليل!
 عَلَيَّ أَذْكُرُ - عند صفاء الغدير - اسمك البدوي !
 قال لي : كان ذاك الخريف يهدّ الـليالي بعصف مريع ..
 وكان التـريف

يملاً الورقات ارتياعاً
 ويُخْلِفُ كلَّ الوعود !

نام كل الجياع وكل الحيارى
 سوى نوح (سيف) وخوف (سهر)..
 وحو لهم لم تزل (مارية)
 تهدّد دميّتها لاهية
 وأمك .. آه !
 ييدَ آنَّ نوافذ تلك اللحوذ

آه ليت السوافي أنكرن أمري
 ليت طيفي لم يقترب من رؤاها
 فمن ذا سواها إذن أهرق الروح من قدحي الخزفي ؟
 فكان اختياري الجميل !
 وكان الذي كان آه !
 خطفَ الريحُ مني قميصي الوحيدَ وغربني في النوى !
 فمن ذا قدير على وقف تلك الخيول الرواكض بين
 القرى ؟
 يُثْرُنَ بها النَّقْعَ موعدُهنْ دمي !
 يهرب الليلُ مني فيفزع عربي وأعدو .. وأعدو ..
 لعليَ أدرك بعض غدائِرها
 فأقيـد جسمـي بـهـذا السـوـادـ الجـلـيلـ !
 قال لي :
 عـبـشـا تـجـوـيـ أـطـيـافـكـ ياـ ولـديـ !

المشاهدة الرابعة عشرة

رائحة الماء

إلى الشاعر المعلم: الدكتور حسن الأمراوي

(يـسـنـما رسـائـلـ النـورـ قدـ فـتـحتـ طـرـيقـاـ وـاسـعـاـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ
 اللهـ بـتـوـجـهـهاـ إـلـىـ الـآـفـاقـ الـكـوـنـيـةـ؛ـ حتىـ كـأـنـهاـ عـصـاـ مـوـسـىـ
 -ـ عـلـيـهـ السـلـامـ -ـ أـيـنـماـ ضـرـبـتـ فـجـرـتـ المـاءـ الزـلـالـ !ـ)
 المنشـوـيـ العـرـبـيـ النـورـيـ:ـ ٣٢ـ

.....
 مـواـجـيـدـ هـذـاـ المسـاءـ هـاـ عـبـقـ المـاءـ بـيـنـ النـخـيلـ
 ولـلـرـمـلـ أـورـدـةـ مـنـ هـيـامـيـ
 تـسـفـ شـرـودـيـ غـنـاءـ شـجـياـ
 وـتـنـفـثـ سـرـيـ جـوـيـ بـيـنـ هـمـسـ الحـصـىـ وـسـكـونـ الدـجـىـ

فأميرة هذا الليل الهارب قد رسمت أدغالا فوق الرمل
المسكون (بإرْدِي) (١٢) !

فاهتزَّ عواصفَ - يا للهول! - تسوق زغاريَّة النخلِ
وحمَّة الخيلِ لفتح أبوابَ البحر المسجون!

قال لي :
لَيْلُ الرباط وحيد
له عطش الملح في دفتيهِ
وجوغُ المحيط!

فيأ حادي الجن مهلاً ! .. فيأ شمتَ عبرَ الخميسْ
فقبل تخوم الدخان قرَى تعشق الصمتَ ماءَ نميرَا
فهذِي هائلها الآن تَقْطُرُ، تَقْطُرُ؛ حق تشف القصائدُ
أرواحُها!

فِي رَتْدُ رَمْلُك / هُنْرُك سرا بصيرا

يُرَى في الظلام ولكنَّه لا يُرَى!

قال لي :

كان نسيما خفيا يهب رحاءً (بوجدة)

أو ربما بين أحراش (تازة) حين يعثر أوراقه - فجأة -
في الخططات عشقُ قديم !

فيرتعش الغصن عند الخطاف الجناح إذا طار في الريح
يا ولهم ! ..

ها يبيع القصيدُ عناقِيَّه للطيور بكل القرى
ولكنَّه في الرباط تَرَبَّبَ عَرْضاً بكلِّ الحوانيت ذاتِ المرايا
ولا من يُحيي عوانسَه البائرة!

ولا من يسوم دُمَاه وأصياغَه النافرة!

قال لي :

- يا ولدي .. وتعلَّم !

١٢ إرْدِي: اسم لبطحاء رملية قاحلة، في مداخل مدينة أرْفُود، جنوب شرق المغرب.

صدر للشاعر

- ديوان القصائد، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء: ١٩٩٢ م.
- الوعد، مطبعة أنفوبرانت، فاس: ١٩٩٧ م.
- جداول الروح (بالاشتراك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح)، مطبعة سndi، مكناس: ١٩٩٧
- ديوان الإشارات، عن منشورات الدفاع الثقافي مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء: ١٩٩٩ م.
- كشف المحبوب (رواية) مطبعة أنفوبرانت، فاس: ١٩٩٩ م.

إنْ هِي إِلَّا أَشْبَاحٌ هَرَبَتْ مِنْهَا الشَّمْسُ فَضَلَّتْ بَابَ
مَغَارَهَا

فَلَا تُفْتَنْكَ رِسْوَمُ الْأَسْمَاءِ

.....

كَانَ النَّهَرُ يَعْانِقُ خَلْوَتَهُ فَرَدَا
وَيَسِّطُ اللَّيلُ السَّاجِي قَوْلَ الطَّيرِ النَّاطِقِ بِالْأَسْوَارِ

فَخَلَعْتُ قَمِصِي ثَانِيَةً وَغَطَسْتُ

تَدْفَقْتُ

فَكَانَ الشِّعْرُ

وَكَانَ الْمَاءُ ..

مكناس : ٢٢/٠٦/١٩٩٨ م

فهرس الديوان

محراب المشاهدات	٤
جحال المشاهدات	٤
شعر المشاهدات	٥
المشاهدة الأولى : أوان	١٠
المشاهدة الثانية : صورة مهربة لبديع الزمان النورسي	١٣
المشاهدة الثالثة : الجواب الأخير لبديع الزمان النورسي ...	١٩
المشاهدة الرابعة : لأربعينية الجريدة أغني	٢٤
المشاهدة الخامسة : البحث عن فرس استبول	٣٠
المشاهدة السادسة : المكتوب الذي لم يكتب	٣٩
المشاهدة السابعة : مواجه أبي العالية الرياحي	٤٦
المشاهدة الثامنة : دجلة مهرها من هب	٥٢
المشاهدة التاسعة : همسُ النيلين	٦٢
المشاهدة العاشرة : لاهِبَ ورَدُّ هذا الزمان	٦٧
المشاهدة الحادية عشرة : المدارُ المختلف	٧٤
المشاهدة الثانية عشرة : رماد الطير	٧٧
المشاهدة الثالثة عشرة : مبدأ جريح	٨٥

المشاهدة الرابعة عشرة : رائحة الماء	٩٣
صدر للشاعر	٩٨
فهرس الديوان	٩٩
انتهى بحمد الله	